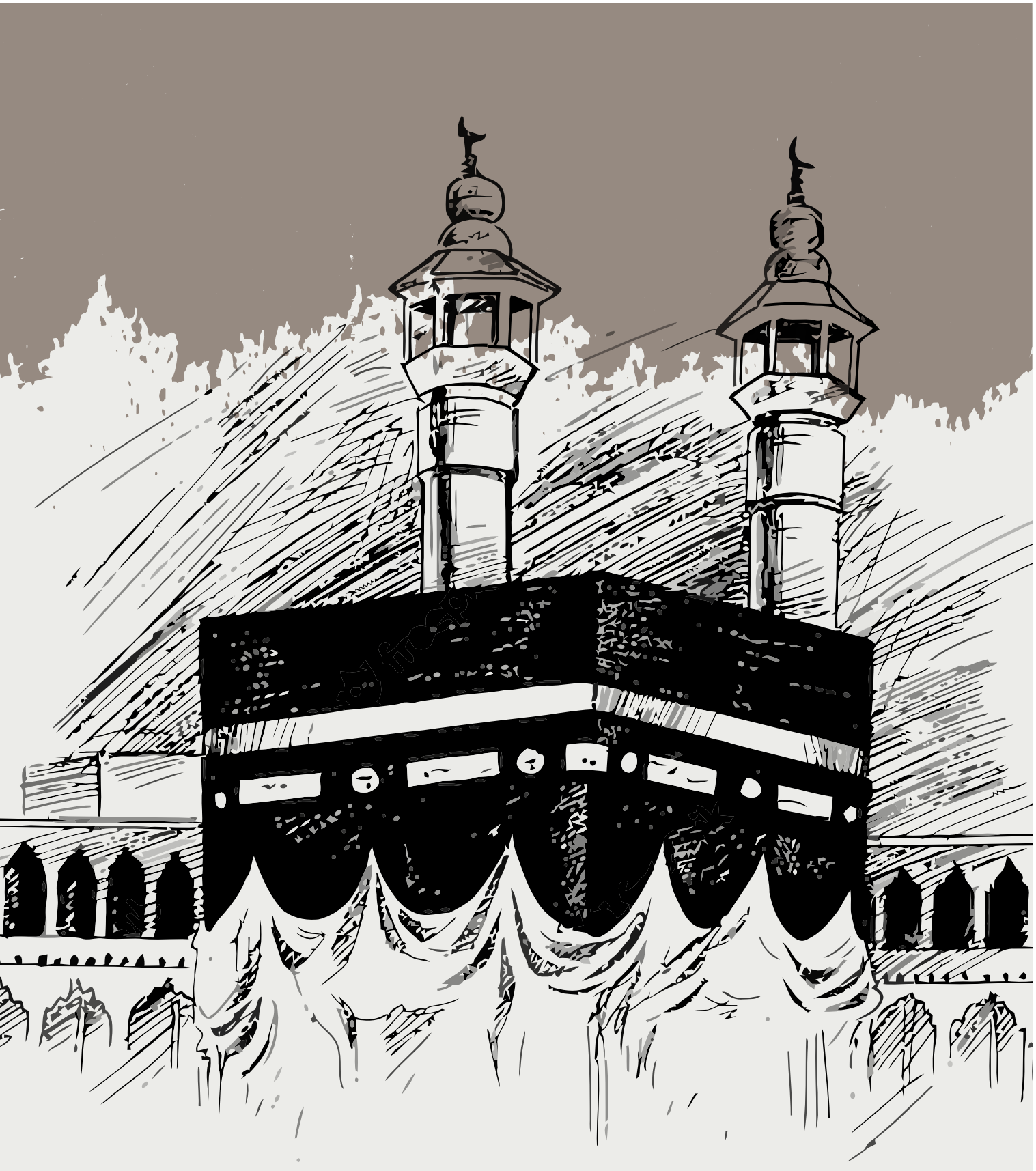

الرحمة بعموم الخلق من الإنسان والحيوان وغيرهم

عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ،

١ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»(٢٩٢).

(٢٩٢) رواه البخاريُّ (٦٠١٣)، ومسلم (٢٣١٩).

آيـــات

- ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].
- ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].
- ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].
- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].
- ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

الراوي

هو: جَرِيرُ بنُ عبدِ الله البَجَليُّ، ويُكْنَى بأبي عَمرٍو، وقيل: بأبي عبد الله، مِن أعيان الصحابة، أَسْلَمَ في السَّنة التي قُبِضَ فيها النَّبيُّ ﷺ، ووَجَّهَه رسولُ الله ﷺ إلى ذي الْخَلَصَةِ، فهَدَمه، ونَزَلَ الكوفةَ بعد ذلك، تُوفِّي سنةَ إحدى وخمسين، وقيل: سنةَ أربع وخمسين(١).

خلاصة

لا يَرحمُ اللهُ سبحانَه مَن لا يَرحَمُ خَلْقَه من النَّاس والحيوان والطَّير.

(١) تُراجَع ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبيِّ (٢/ ٥٣٠)، «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ٢٢)، «التاريخ الكبير» للبخاريِّ (٢/ ٢١١).

١ رحمةُ اللهِ تعالى واسعةٌ لا مُنتهَى لها؛ قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وجزءٌ من مائةِ جزءٍ من رحمته سبحانه يَتراحمُ به الخَلْقُ فيما بينهم؛ حتى إنَّ الفَرَس لترفعُ حافرَها عن ولدها؛ خشيةَ أن تُصيبَه(٢٩٣).

٢ وقد أرسَل اللهُ تعالى أنبياءَه ورُسُلَه رحمةً بعبادِه؛ فهَداهم إلى الحقِّ، وأنعَم عليهم بالإيمان، ورزَقهم الهِدايةَ والتوفيقَ، وأسْكَنهم دارَ كَرامتِه في الآخرة، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٣ ولهذا قَصَر رحمتَه على عبادِه الرُّحَماء، فمَن لم يَقتدِ به سبحانَه في رحمته بالخلق، فهو المحرومُ مِن رحمته تعالى، قال ﷺ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»(٢٩٤).

وسببُ ذلك أنَّ المؤمن رحيمٌ بخَلْقِ اللهِ تعالى، يَرِقُّ قلبُه للضعيف، ويَأسى لحُزن المَكْلوم، ويألَمُ للمُبتلى، ويَحِنُّ على الضُّعفاء والمساكين، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]، وأخبر ﷺ أنَّه: «لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»(٢٩٥).

٤ وليس المقصودُ بالرحمةِ أن يَرحَم المسلمُ ذَويه وأهله دون غيرِهم؛ بل أن تَشمَل رحمتُه جميع الخلْقِ، قال رَسولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَضَعُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ إِلَّا عَلَى رَحِيمٍ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، كُلُّنَا يَرْحَمُ، قَالَ: «لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صَاحِبَهُ؛ يَرْحَمُ النَّاسَ كَافَّةً»(٢٩٦).

٥ وقد كان ﷺ أرحمَ النَّاسِ؛ قال فيه ربُّه سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد امتلأ ﷺ رحمةً وعطفًا، فمِن ذلك قوله ﷺ: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»(٢٩٧).

٦ ولم تَقتصِرْ رحمتُه على النَّاس فحسبُ، بل تعدَّت إلى الحيوانات والطيور؛ فعنْ عبد الله بن مَسعود قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا».

---

(٢٩٣) رواه البخاريُّ (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).

(٢٩٤) رواه البخاريُّ (٧٤٤٨) ومسلم (٩٢٣).

(٢٩٥) رواه أحمد (٩٧٠٠)، وأبو داود (٤٩٤٢)، والترمذيُّ (١٩٢٣).

(٢٩٦) رواه أبو يعلى (٤٢٥٨).

(٢٩٧) رواه البخاري (٧٠٧).

١ الرَّحمةُ بالخلق من علامات السعادة؛ فإنَّ الشَّقِيَّ مَن حُرِم الرَّحمة، فالحذرَ الحذرَ من طبع أهل الشَّقاء.

٢ الرَّحمةُ من صِفات الله تعالى التي يُحبُّ أن يَقتدي عبادُه به فيها؛ فيحبُّ أن يرى عبْدَه رحيمًا لطيفًا رؤوفًا بالخلْق، كالمغفرة والصَّفح والعفو والجُود.

٣ النبيُّ ﷺ هو الأسوةُ الحَسَنةُ، وقد كان ﷺ رحيمًا بالكبار والصِّغار، قَبَّلَ ﷺ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ رضي الله عنهما وعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ رضي الله عنه جالِسًا، فقالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ»(٢٩٨).

٤ لا أحد مُستغنٍ عن رحمةِ اللهِ تعالى، فكلُّ واحدٍ منا عنده عيوبٌ وذنوب وخَطايا، ولولا رحمتُه سبحانه لَهَلَك الخلقُ جميعًا. فمَن أراد أن يرحمه اللهُ تعالى، فلْيَرحَم خلْقَه، فهذه بَغْيٌ مِن بَغايا بني إسرائيل رأت كلبًا يَلهَث يأكُلُ التُّراب من العطَش، فسَقَتْه فغفرَ اللهُ سبحانه لها برَحمتها للحيوانِ(٢٩٩).

٥ الجزاءُ من جِنس العمل، فمَن رَحِم رُحِم، ومَن عَذَّب عُذِّب، ومَن يَسَّرَ يَسَّر اللهُ سبحانه له.

٦ عدمُ رحمةِ الخلق سببٌ في دخول النار والعياذُ بالله؛ فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ»، أَوْ «لَمَسَّتْكَ النَّارُ»(٣٠٠).

قال الشاعر:

إنْ كُنتَ لا تَرحَمُ المسكينَ إنْ عَدِما ... ولا الفقيرَ إذا يَشْكو لكَ العَدما
فكَيْفَ تَرْجُو منَ الرَّحمنِ رَحْمتَه ... وإنَّما يَرحَمُ الرحمنُ مَن رَحِما

قال غيره:

إنْ كنتَ ترجو مِن الرَّحمنِ رحمتَه ... فارْحَمْ ضِعافَ الورَى يا صاحِ مُحترِمَا
واقْصِدْ بذلك وَجْهَ اللهِ خالِقِنا ... سُبحانَه مِن إلهٍ قدْ برى النَّسَما
واطلبْ جَزا ذاك مِن مَولاكَ رَحْمتَه ... فإنَّما يَرْحَمُ الرحمنُ مَن رحِمَ

(٢٩٨) رواه البخاريُّ (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

(٢٩٩) رواه البخاريُّ (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

(٣٠٠) رواه مسلم (١٦٥٩).